مجلة العلوم الإنسانية
العدد الثالث (2015م)

منهجية سيبويه من خلال كتابه (الكتاب)

حربية محمد أحمد و مبارك حسين نجم الدين
جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية اللغات – قسم اللغة العربية

المستخلص :

عنوان هذا البحث هو منهجية سيبويه في التأليف النحوي من خلال كتابه الكتاب ، تناول فيه الباحثان منهجية سيبويه في التأليف النحوي مشيرين إلى كيفية اعتماده على استقراء القاعدة من كلام العرب العرباء ، ثم الاستشهاد عليها بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، وكلام العرب ، مع الارتكاز على فكرة العامل ، والانطلاق من خصائص زمر الكلم إلى التراكيب والجمل ، والانتهاء بالأبنية الصرفية وخصائصها الصوتية .

ومن أهداف هذا البحث :

1- بيان منهجية سيبويه في التأليف النحوي .

2- توضيح منطلقات سيبويه في تقعيده قواعد النحو

واتبع الباحثان في هذا البحث المنهج الوصفي مع الإفادة من بقية المناهج عند اقتضاء الضرورة .

ومن أهم النتائج التي أسفر عنها البحث مايلي :

1- لسيبويه منهج في التأليف النحوي يقوم على الاستقراء والاستدلال والقياس والتعليل .

2- اعتمد سيبويه في تأليفه الكتاب على فكرة العامل

3- ابتدأ سيبويه في عرض المادة النحوية بخصائص زمر الكلم ، وصعد إلى التراكيب والجمل لينتهي بالأبنية الصرفية وخصائصها الصوتية .

كلمات مفتاحية : *الاستدلال – الزمر – التقعيد – العامل – الأبنية*

ABSTRACT :

The title of this research is Sebawayhi,s methodology in the gramatic composition from his book (Alqitab) . In this research the scholars studies Sebawayhi methodology , they indicate that he deducts grammars from Arabian speaking , then he cites with Holy Quran , and Alhadith Alsharif and Arabian speaking . Scholars indicate that he begins from the characteristics of words groups , and then he studies syntax with morphological structures and its phonological characteristics .The main purpose of this research is:

1- To clarify Sybawayhi,s methodology in the grammatical composition 2- To clear Sybawayhi,s starting point when he codifying grammar of Arabic syntax .

The scholars use the descriptive method in this search , the most important of this research is :Sybawayhi,s methodology in the grammatical composition stands on deduction conclude, justification and anology . Sybawayi depend on the idea of factor in composing his book .Sybawayhi represents grammar begins with characteristics of words groups , and elevates to syntax and descend to the morphological structures and its phonological characteristics.

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، والصلاة والسلام على المفصح المبين ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين ، وبعد ، فإن هذا البحث بعنوان : منهجية سيبويه في التأليف النحوي من خلال كتابه (الكتاب). ولعل مشكلة هذا البحث تكمن في الأسئلة التالية :

1- ما المنهجية التي اتبعها سيبويه في تأليف كتابه (الكتاب) ؟

2- كيف كان يستقرئ سيبويه القاعدة ؟ وعلام اعتمد سيبويه في تقعيدها ؟

3- كيف كان عرض المادة اللغوية النحوية في كتاب سيبويه ؟

ومن أهداف هذا البحث :

1- بيان منهجية سيبويه في التأليف النحوي .

2- توضيح منطلقات سيبويه في تقعيده قواعد النحو .

3- الإشارة إلى أهمية دراسة كتاب سيبويه وحفز الشداة لقراءته .

وقد اتبع الباحثان المنهج الوصفي في هذا البحث مع الإفادة من بقية المناهج عند اقتضاء الضرورة .

وتناول الباحثان في هذا البحث مفهوم المنهج ، ثم نشأة سيبويه وتعليمه ووفاته ، باعتباره الشخصية المحورية في هذا البحث ؛ لأنه لا يمكن بسط البحث في منهجية تأليف الكتاب بمعزل عن مؤلفه . وتلا ذلك وصف الكتاب الذي هو محل البحث من حيث إعجاب الأقدمين به ، ومن حيث كيفية تبويبه ، وبسط المادة العلمية فيه ، ثم السند الذي نقل به ، وأقوال العلماء في الكتاب وفي مادته ، وطريقة ترتيبه ، ثم دلف الباحثان لبيان وتوضيح منهجية سيبويه في تأليف الكتاب .

مفهوم المنهج :

المنهج في اللغة يعني (الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال .) **(معجم الكليات 1423هـ فصل النون)**. وفي التنزيل : "لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً" **(سورة المائدة الآية48)**. والمنهج الخطة المرسومة (محدثة) ومنه منهاج الدراسة وجمعها مناهج **(المعجم الوسيط ص957)**.وهناك تعريفات عدة للمنهج تدور في إطار التنظيم الدقيق لمجموعة من الأفكار من أجل الوصول إلى حقيقة لم تكن معروفة من قبل ، ويطبع هذا التنظيم وجود طائفة من القواعد العامة تسيطر على العقل (**ياقوت 200م ص95)**. وبذا يكون المنهج هو الأساليب والطرق المتعددة المتاحة للباحث في المجال المعين ليصل إلى المقاصد والأهداف التي من أجلها كتب البحث . أما التأليف فلعله من الألفة وهي القرب والجمع بين المتباعدين " واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم " **(سورة آل عمران الآية)103**. وفي اللغة (ألف الكتاب جمعه ووضعه) **(المعجم الوسيط باب الهمزة)** . إذن التأليف يعني جمع متفرقات الموضوع المعين وشرحها وتفسيرها وتنظيمها بحيث تؤتي أكلاً طيباً بإذن الله .وبذا يكون منهج التأليف هو الطريقة التي يتبعها الكاتب وفق ضوابط محددة وأصول معينة تعصمه من الانزلاق والخطأ في سعيه لتحقيق أهداف سبق منه تحديدها . والتأليف عند سيبويه هو الطريقة التي سلكها في جمعه المادة النحوية وتصنيفها إلى زمر (اسم ، وفعل ، وحرف) واستقراؤه القوانين والقواعد الكلية التي تطرد في كلام العرب العرباء الذين يحتج بكلامهم والخاصة بأحكام هذه الزمر عند تأليف الكلام وتحليله ، وعند اشتقاق الأبنية وما يعتريها من تغيير في نظم الكلام

من إعلال وإبدال وغيره ، ثم تنزيل القاعدة إلى المثال وقياس المثال على القاعدة ؛ لأجل ضبط الكلام منطوقا ومكتوباً وصولاً إلى الدلالة الصحيحة .

سيبويه ونشأته وتعليمه هو(عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن) وعلة بن خالد بن مالك بن أدد . ويكنى أبا بشر ويقال كنيته أبو الحسن ، وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح (**السيوطي 1979م ص230**). وتضاربت الروايات حول تاريخ ميلاده ووفاته (قدم سيبويه أيام الرشيد إلى العراق ، وهو ابن اثنين{ اثنتين} وثلاثين سنة ، وتوفي وله نيف وأربعون سنة بفارس ...مات بها سنة سبع وسبعين ومائة)(**ابن النديم ص51**). وقال الدكتور عبد الصبور شاهين (لا تكاد حياة سيبويه على أرجح الأقوال تتجاوز أربعين سنة ونيفاً ، وقد ولد حوالي 140هـ أو قبلها بقليل ، وتوفي في حدود 180هـ . ومعنى ذلك أنه ولد في أوائل خلافة بني العباس التي قامت على أنقاض الدولة الأموية سنة 132هـ وتوفي في عهد الرشيد) (**شاهين 1985م ص125**). وسيبويه فارسي الأصل والمولد ، وتشير معظم تراجمه إلى أنه ولد بالبيضاء من أرض فارس ، ثم نشأ بالبصرة ولم يبرحها حتى قرب وفاته ، حيث رجع إلى فارس ومات هناك : (كان أصله من البيضاء من ارض فارس ونشأ بالبصرة) (**السيوطي 1979 ص229**). ويقال إن مولده كان بالأهواز (ولد بالبيضاء وهي أكبر كورة اصطخر بفارس ويقال إن مولده ومسقط رأسه بالأهواز ، ثم هاجر أهله إلى البصرة فنشأ بها فعاش في أرجائها يطلب العلم فيبني لنفسه مجداً خالداً) (**سيبويه 1977م ص7**). وقد وصف بجمال المظهر والمخبر من حيث النظافة وأنه لا يمل في المجالسة ، ولا يمل هو طلب العلم وكان شاباً نظيفاً جميلاً ، وكان في لسانه حبسة ، وقلمه أبلغ من لسانه فقال عنه الزبيدي ذلك أيضاً:

(قال ابن عائشة كنا نجلس مع سيبويه في المسجد وكان شاباً جميلاً نظيفاً قد تعلق من كل علم بسبب وضرب فيه بسهم مع حداثة سنه وبراعته في النحو) (**الزبيدي 1973م ص67**). وذكر عنه ابن الأنباري أيضاً دماثة خلقه وحسن مسلكه: (كان سيبويه غاية في الخلق)(**ابن الأنباري 1985م ص55**).ووصف بصدق الرواية ودقة النقل والأمانة فيما يروي ، (قال محمد بن أبي يزيد أبو العباس المبرد قال يونس بن حبيب – وقد ذكر عنده سيبويه – أظن هذا الغلام يكذب على الخليل فقيل له : قد روي عنك أشياء فانظر فيها ، فنظر فقال :صدق في جميع ما قال هو قولي) (**السيرافي 1985م ص64**). كان قد بدأ تعلم الفقه ثم اللغة والأدب ثم النحو أخيراً فبرع فيه وبه اشتهر (أخذ النحو عن الخليل وهو أستاذه ، وعن عيسى بن عمر وعن يونس بن حبيب وغيرهم وأخذ اللغات عن أبي الخطاب الأخفش الكبير وغيرهم) (**السيوطي 1979م ص229**). وقد طلب الحديث والفقه شأنه شأن العلماء في زمانه ثم الأدب واللغة (وطفق يطلب العلم فكان الحديث والفقه من أول ما يطلب العلماء فأعجبه ذلك وصحب الفقهاء يطلب أهل الحديث ، وكان يدرس الحديث على حماد بن سلمة) (**سيبويه 1977م ص7**). وحماد بن سلمة هو ابن دينار البصري (ت–69هـ) .أخذ عنه يونس بن حبيب وأخذ عنه أيضاً سيبويه ، وأشهر القصص والأحداث في تعلم سيبويه النحو تتعلق بحماد هذا (كان سيبويه يطلب الآثار والفقه ، قال نصر بن علي : كان سيبويه يستملي على حماد بن سلمة فقال حماد يوماً : قال (صلى الله عليه وسلم) : ليس أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء) (رواه ابن ماجه ص 496 ولدارقطني وإسناده ضعيف). فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء . فقال له حماد لحنت ، ليس أبا الدرداء . فقال سيبويه : لا جرم لأطلبن علما لا تلحنني فيه أبدا وطلب النحو) (**ابن الأنباري 1985ص54–55**). وترددت رواية أخرى مع حماد شحذت رغبة سيبويه في العلم الذي يعصم لسانه من مثل

تلك الزلات التي توقعه في الحرج ، وقد أوردها الزبيدي (جاء سيبويه إلى حماد بن سلمة فقال : أحدثك هشام بن عروة عن أبيه في رجـ ل رَعُفَ في الصلاة ، فقال حماد : أخطأت ، إنما رَعَفَ .فانصرف إلى الخليل وشكا إليه ما لقيه من حماد . فقال صدق حماد ومثل حماد يقول هذا . ورَعُفَ لغة ضعيفة والصحيح رَعَفَ)(أخرجه الحاكم في "المستدرك" (3/ 266) عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن مرفوعا . وقال: هذا مرسل غريب ، ورواته ثقات) **(الزبيدي 1973 ص66)**. وعندما هبط سيبويه البصرة كانت الدراسة فيها نوعين :دينية وادبية .فالدينية تشمل القراءات والتفسير والحديث ، وتشمل الأدبية اللغة والنحو والصرف ورواية الشعر وغيرها . ولم تكن الدراسة حينذاك تلتزم . طبعاً . خطة موضوعة ولامنهجاً مرسوماً انما كانت حرة في حلقات كان يعقدها لعلما بالمساجد أو دراسة خاصة في بيوت الخلفاء وأصحاب السلطان والجاه .وكان الطلاب يدرسون مايشاءون دون تخصصٍ ولا توجيه فقد يخرج أحدهم من الفقه ورواية الحديث إلى النحو أو غيره ، وقد كان سيبويه يحفظ القرآن و اللغة (**ناصف 1953م ص81- 82**). ومن أشهر شيوخه في الحديث حماد بن سلمة ، الذي أخذ عنه الحديث وعلوم الدين ولم تجد الباحثات شيخا له سواه في ذات المجال . أما شيوخه في العربية – لغة ونحوا- فأشهرهم على الإطلاق الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ؛ فهو أستاذه الأكبر وعامة الحكاية في كتابه عن الخليل وقد أحصى الأستاذ علي النجدي صاحب كتاب "سيبويه إمام النحاة " جملة ما روى عن شيوخه كل على حِده ولكن نال الخليل انصيب الأوفر (وجملة ما روى عنه في الكتاب 522مرة ، وهو قدر لم يرو مثله ولا قريبا منه عن أحد من أساتذته)(**ناصف 1953 ص89**). أما أساتذته الآخرون فمنهم : يونس بن حبيب البصري توفي سنة181هـ (بارع في النحو من أصحاب أبي عمرو بن العلاء ، سمع عن العرب ...وله قياس في النحو ومذاهب تفرد بها) **(السيوطي 1979 ج2 ص365)**. . وقد كان يونس بن حبيب ذا مذهب صارم في الرواية (شديد التثبت في تحصيله موثوق الرواية قوي الحافظة ليس له من العلم إلا ما رآه بعينه(**الزبيدي 1963م ص24**). ومن أساتذته أيضا أبو الخطاب وهو الأخفش الأكبر أستاذ سيبويه وهو يذكره بكنيته روى عنه اللغة وكل ما روى عنه مفردات ونصوص روى عنه 47 مرة ، وعيسى بن عمر الذي روى عنه سيبويه 22مرة . وقد قيل إنه روى عن أبي زيد الأنصاري ، حيث إن سيبويه لم يذكر اسمه ولا كنيته في كتابه لكنه المعني بقوله "الثقة " أو "من يوثق به" ، وبذا روى عنه سيبويه تسع مرات) **(ناصف 1953م ص90-93)**. وقد يتبادر إلى الذهن أن الثقة يقصد به الخليل ، ولكن سيبويه يذكر الخليل باسمه أو بلفظ " أستاذي " .

أشهر مناظراته :

أشهر مناظرات سيبويه على الإطلاق هي مناظرته مع الكسائي ، التي تناقلتها الكتب والمؤلفات وترددت عبر الزمن بين الألسن في المجالس :(حكى جعفر بن أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي المصري قال :قال يحيى بن محمد بن هلب بن يزيد المبرد : لما ورد سيبويه العراق شق أمره على الكسائي فأتى جعفر بن يحيى بن برمك والفضل بن يحيى بن برمك وقال : أنا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل إنما قدم ليذهب بمحلي قالا : فاحتل لنفسك فإنا سنجمع بينكما ، فجمعاهما عند البرامكة ، وحضر سيبويه وحده ، وحضر الكسائي ومعه الفراء والأحمر وغيرهما من أصحابه فسألوه : كيف تقول في " كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور (فإذا هو هي) أو (فإذا هو إياها)؟ فقال : أقول : (فإذا هو هي) ، فأقبل عليه الجميع وقالوا أخطأت ولحنت .فقال يحي بن خالد بن برمك : هذا موضع مشكل حتى يحكم بينكم ، فقالوا : هؤلاء الأعراب على الباب . فأدخل أبو الجراح ومن كان معه ممن كان يأخذ منه الكسائي وأصحابه . فقالوا : (فإذا هو إياها) . فانصرم المجلس على أن

سيبويه قد أخطأ . فأعطاه البرامكة وأخذوا له من الرشيد وبعث به إلى بلده ، فيقال إنه ما لبث إلا يسيرا ثم مات كمدا)(**الزبيدي 1973م ص68**).

رحل سيبويه بعد المناظرة من بغداد ولم يبلغ أمله (أما مكان الوفاة فالرأي فيه مختلف كثيرا ، فقيل إنه مات في ساوة ، وقيل في البصرة ، وقيل في فارس ، وقيل في شيراز) (**السيوطي 1979م ص230**). وأغلب الظن لدى الباحثين أن موته كانت بساوة لكثرة ترداداها لدى السابقين . رحل سيبويه ولكن ترك إرثا تناقلته الأجيال عن بعضها فخرا وإعزازا .

كما اختلف في مكان وفاته ، اختلف أيضا في زمانها (مات بشيراز غماً بالزرب سنة ثمانين ومائة ، وقال الخطيب : وعمره اثنتان وثلاثون سنة . وقيل نيف على الأربعين . وقيل : مات بالبصرة سنة إحدى وستين ، وقيل سنة ثمان وثمانين .وقال ابن الجوزي : مات بساوة سنة أربع وتسعين) (**ناصف1953م ص115**). ولعل كونه مات سنة 94هـ هي الأرجح لكونه بساوة .

كتاب سيبويه (الكتاب) :

عرف كتاب سيبويه منذ أن كان وظل حتى الآن باسمه (الكتاب) ولقّب بقرآن النحو . فلم يسمه سيبويه باسم معين كما هو شأن العلماء من قبله أمثال الخليل وعيسى بن عمر وغيرهم ، أو شأن من بعده وهم لا يحصون ، كما لم يسمه من اهتموا به من بعده وارتضوا أن يطلقوا عليه اسم (الكتاب) وهو اسم تفرد به حتى الآن في مجال العلوم العربية (وقد عرف كتاب سيبويه من قديم الدهر إلى يومنا هذا باسم الكتاب ، أو كتاب سيبويه ، ومن المقطوع به ان سيبويه لم يسمه باسم معين على حين كان العلماء في دهره ومن قبل دهره يضعون لكتبهم أسماء : كالجامع والإكمال لعيسى بن عمر ، والعين المنسوب للخليل) (**سيبويه1977م ص23**).

ولم يقطع العلماء بسبب لعدم وضع سيبويه اسما لكتابه ، ولا علة واضحة يقينا وراء ذلك (والراجح أن سيبويه لم يضع لكتابه اسما ولو قد فعل ذلك ليذكر به في الماضين ، ومضى معه عبر الزمن إلى الخالفين ، ولا ندري لذلك سببا ولا حكمة ، فقد كانت تسمية الكتب أمرا متعالما لجيله والجيل الذي سبقه ، فهذا الأخفش سعيد بن مسعدة يسمي الاشتقاق والمقاييس ، والخليل بنى احمد يسمي العين ، والشواهد ، وعيسى بن عمر يسمي الإيضاح والإكمال .) (**ناصف 1953م ص123**).

وقد ظل ترك سيبويه كتابا بدون اسم ضربا من التخمين والظن (وقد يكون أعجل عن تسميته بأنه اختصر شابا فلم يتمكن من معاودة النظر فيه واستتمامه) (**سيبويه 1977م ص23**).

ومن التعليلات لذلك ما ذكره الأستاذ مازن المبارك إذ يرجع ذلك إلى طريقة وضع سيبويه كتابه : (على أننا نرجح أن يكون ترك الكتاب بلا عنوان راجعا إلى أن سيبويه لم يضعه دفعة واحدة ، وإنما وضعه بابا تلو باب ، وكان كلما وضع منه بابا أو بابين اطلع عليهما زملاءه وأصحابه ، فلم يصل المؤلف إلى نهايته حتى كان قد شاع بين النحاة أن سيبويه (يضع) كتابا فبقي ذلك علما عليه، ولصاحبه شهرة واسعة ، فأغنى ذلك عن تسميته) **مازن ، 1995م ، ص115.**

وصف الكتاب :

لقد أعجب الأقدمون بكتاب سيبويه كما افتتن به المحدثون ؛ فكان عند بعضهم مصدر فتوى في الفقه ، وحجة في الاستشهاد الشعري ، كما ظل المرجع الأساسي في النحو والصرف : (ولقد بلغ إعجاب أبي عمر الجرمي به ، ت 225هـ أنه كان يقول : " أنا مذ ثلاثون سنة أفتى الناس في الفقه من كتاب سيبويه) (**سيبويه1977م ص23**). كما قد سمت مكانته في

مجال النحو حتى أطلق عليه اسم مرتبط بالقداسة والتمجيد (ولقد سماه الناس قديماً قرآن النحو)(**أبو الطيب اللغوي ، 1974م ص65**). ووضع سيبويه كتابه أو بعضه بعد موت الخليل واللذي يرجح أنه توفي عام (170 هـ أو 175هـ) فقد ورد في كتاب سيبويه عبارة (رحمه الله) عند ذكر الخليل :(لا ريب أنه ألفه بعد موت الخليل تـ 160 هـ فإن مخطوطات الكتاب نجد فيها كثرة التعقيب على قول الخليل بعبارة (رحمه الله) . فهذه واحدة ، ونص آخر ورد ذكره في مقدمة نسختنا هذه ، قال : وسمعت نصراً يحكي عن أبيه ، قال : قال لي سيبويه حين أراد أن يضع كتابه : تعال نتعاون على إحياء علم الخليل) (**سيبويه1977م ص24**) .

سند الكتاب:

سند كتاب سيبويه إلى الأخفش ولم يكن هناك سند غيره (لم يسند كتاب سيبويه إلا بطريق الأخفش ، فإن كل الطرق مستند فيها إليه) (**ناصف 1953م ص130**). والأخفش يقصد به هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ويقال إن أبا الحسن الأخفش قال إن كتاب سيبويه لا نظير له في حسنه وصحته ، وأنه جامع لأصول النحو وفروعه ،استحسنه كل الإستحسان ، فيقولون : إن أبا عمر الجرمي وأبا عثمان المازني ، وكانا رفيقين للأخفش ،تَوَهّما أن أبا الحسن الأخفش قد هّم أن يدّعي الكتاب لنفسه ، فقال أحدهما للآخر :كيف السبيل إلى إظهار الكتاب ومنع الأخفش من إدعائه ؟ فقال له : أن نقرأ عليه ، فإذا قرأناه وأشعنا أنه لسيبويه فلا يمكن أن يدعيه ... فكانا السبب في إظهاره لسيبويه) (**سيبويه1977م ص25**).وقد ذكرت التراجم أن سيبويه لم يقرأ الكتاب على أحد بعد إتمامه ولم يقرأه عليه أحد في حياته ، وقد ظهر بصورته المتكاملة بعد وفا ته (كتاب سيبويه لم يقرأه سيبويه على أحد ولا قرأه عليه أحد)(**سيبويه1977م ص25 ص25**) .ومن حيث مادة الكتاب وعناصر تكوينه ، فيتكون من : النحو والصرف والأصوات والبلاغة . عمادها آي الذكر الحكيم وأشعار العرب الأقدمين ، وأمثالهم ، وألفاظهم ، ومفرداتهم ، صاغوها بأساليبهم (ويعتمد في مادته على : عبارات مروية وأخرى غير مروية ، ومفردات عربية وأخرى أعجمية خالصة أو معرّبة ، ومسائل مفترضة قيست نظائر لها في اللغة ، وشواهد من القرآن وأخرى من الشعر والرجز) (**ناصف 1953م، ص138**).

بعض الأقوال عن كتاب سيبويه :

نجد أقوال العلماء فيه من الثناء عليه لا تكاد تحصى ومن ذلك وصفه بالصدق في الرواية والحكاية فقال أستاذه يونس بن حبيب حيث قرأ ما رواه سيبويه عنه : (يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه كما صدق فيما حكى عني) (**السيرافي1985م ص64**). وممن أثنى على الكتاب المبرد والمازني (كان أبو العباس محمد بن يزيد المبرد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه ، يقول له : هل ركبت البحر ؟ استعظاما له واستصعابا لما فيه ، وكان المازني يقول : من أراد أن يعمل كتابا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي)(**نفسه ص65**). (فليستحِ) . وقال ابن نديم صاحب الفهرست ، تـ سنة 385هـ (وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ، ولم يلحق به بعده) (**ابن النديم ، ص65**). وأجمل الزمخشري محمد أبو القاسم محمود بن عمر تـ سنة 538هـ فقال عن كتاب سيبويه: (**السيوطي 1979 م ج2 ص 30**).

ألا صلى الإله صلاة صدق على عمرو بن عثمان بن قمبر
فإن كتابه لم يغن عنه بنو قلم ولا أبناء منبر

وهكذا ظل كتاب سيبويه ما بين مفتون ومبهور وعاجز ، ومهما يكن من أمره فقد قامت الدراسات اللغوية جمعاء اتكاء عليه شرحا واقتضابا ، واختصارا وتفسيرا .

منهجية سيبويه في تأليفه كتابه

سبق في هذا البحث الحديث عن تعريف المنهج حيث أورد الباحثان تعريفات عدة له ، ولعل منهج التأليف الذي بصدده الحديث هو الخيط الذي يتتبعه المؤلف ليسلك فيه موضوعات تفكيره أو دراسته ، أو هو الخطة التي اتبعها المؤلف لكتابه على أساس من الاستقراء أو غيره وهو يتبع طريقة محددة من حيث عرض المادة وتقديم الناقشة أو تأخيرها ، وإبداء الرأي الشخصي مع إصدار الأحكام أو التعليقات والآراء .وقد كان منهج سيبويه في تأليف كتابه مكان اختلاف ، فمنهم من وصفه بأنه ليس له منهج ، ومنهم من وصفه بمنهج الفطرة والطبع ، ومنهم من وصفه بأنه لغز يصعب فك طلاسمه وحلها : (غير أن سيبويه لم يتمكن من وضع مقدمة لكتابه يشف فيها عن المنهج الذي سلكه في ترتيبه ، ولذلك بقي منهج الكتاب لغزا عصيا على الإدراك) **شاهين 1985م ص35.** ونجد أن الأستاذ على النجدي يضع رأيه في بساطة لعله استصحب زمان تأليفه حيث لا كلفة ولا تعقيد (ينهج سيبويه في دراسة النحو منهج الفطرة والطبع) **(ناصف 1953 ، ص158)**. وهناك الذين وصفوا كتاب سيبويه أنه ليس له مقدمة تشرح أهدافه وتوضح أبوابه وفصوله – كما هو شأن المؤلفات قبله وبعده – كما رموه بعدم الترتيب في مادته (ليس فيه ترتيب ولا خطة ولا خاتمة) **(مازن 1995م ص115)**، يفهم من ذلك أن سيبويه لم يكن يعرف المنهج وإنما أورد مسائل الكتاب متتابعا بعضها في أثر بعض دون أي نظام أو رباط يربط المقدم بالتالي أو الأول بالآخر ، أي أن الكتاب عبارة عن مجموعة من التأملات والدراسات المختلطة ، لا يحكمها نظام ولا يسلك حباتها خيط . كما نجد أن الأستاذ علي النجدي ناصف يصف الكتاب بأنه (ليس له مقدمة ولا خاتمة ، أوله " هذا باب علم ما الكلم من العربية " وآ خره: ومثل هذا قول بعضهم : (عَلُماء بنو فلان ، فحذف اللام ، يريدون : على الماء بنو فلان . وهي عربية) (ناصف 1953م ، ص124)وفي موضع آخر من كتابه – أي علي النجدي – (سيبويه إمام النحاة) يذكر الأبواب النحوية الأولى في كتاب سيبويه ويعتبرها أشتاتا من الموضوعات النحوية مهد بها لكتابه وعرضها بأسمائها جميعا وبعدها قال : (وهذه كما لا يخفى مسائل عامة يدور عليها البحث ويتضح بها القصد في جملة الامر ولكنها ليست سواء في المنزلة من النحو والصلة به . فأقسام الكلمة وعلامات الإعراب والبناء والمعرب والمبني أكثر من أختها دورانا وأدخل في النحو مكانا ، ولهذا يبدو أنها كانت أحق بمكانها من الكتاب فتكون بمثابة المدخل إليه وتكون الأخرى بمثابة التوطئة له والتمهيد، وهو إذ يخلص من ذلك يمزج بين عنوانات المباحث المتشابكة في آن واحد يجعله بمثابة الفهرست لها ، ثم يعود فيتحدث عنها ويفصل أحكامها بابا بابا)(ناصف 1953م ، ص124) وفي هذا الامر نجد الاستاذ مازن المبارك في كتابه (الروماني النحوي) يؤكد وجود مقدمة للكتاب لكنها مقدمة مصبوغة بلون عصرها يدعم قوله برأي النجدي ذلك : (والحق أن الكتاب يبدأ بمقدمة لكنها ليست كما يطلب الباحثون اليوم (مقدمة تشرح الأهداف) وإنما هي من نوع المقدمات التي تتناول الحديث عن بعض مبادئ العلم الذي تقدم له وتشرح بعض مصطلحات هذا العلم تمهيدا لاستعمال هذه المصطلحات في متن الكتاب وهذا ما فعله سيبويه في الصفحات الاولى من كتابه .... فإذن هو يقر بوجود مدخل للكتاب وتمهيد له وكان من قبل قد نفى وجود مقدمة له) **(مازن ، 1995م ،ص117)** .لعل ما ذهب إليه كل من الأستاذين : علي النجدي

بوجود تمهيد ، ومازن المبارك بوجود مقدمه ، قد يكون صوابا ولكن للباحثين تساؤل وهو: مع أنه بدأ – منذ البداية – بتسمية الباب (هذا باب علم ماالكلم من العربية هذا باب مجاري أوآخر الكلم من العربية ،هذا باب المسند والمسند إليه ، هذا باب اللفظ للمعاني ،هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض ، هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة ،هذا باب ما يحتمل الشعر، باب الفاعل) (**سيبويه 1977م ص32–33**). غير أنه في باب الفاعل لم يذكر اسم الإشارة (هذا) وإنما جعله (باب الفاعل) ثم أجمل فيه ابواب عدة ولم يسمها أبوابا في مجملها إنما رصد العناوين تحت (باب الفاعل) ثم فصلها بابا بابا بعد ذلك وانتظم ترتيبا واضحا فأتى بأبواب الفاعل كلها ، ثم بدأ بأبواب المفعول به وهكذا ، ولعل هذا ما جعل البعض مثل الأستاذين (علي النجدي ، ومازن المبارك) أن يجعلا الأبواب الأولى من الكتاب مقدمة له وقد نبه الأستاذ مازن المبارك إلى فرق الزمن ومقتضيات العصر في التأليف بين عصر سيبويه وما بعده ، إذ كان مفهوم النحو آنذاك هو كل ما حوى كتاب سيبويه من نحو وصرف وبلاغة وأصوات : (كان النحوي آنذاك يتعرض للنحو – كما نفهمه اليوم – إلى جانب تعرضه لامور كثيرة أخرى تتصل بالبيان والتركيب والبلاغة ...وعلى هذا فالموضوعات التي جاءت في فاتحة الكتاب إنما هي مقدمه له في نظر نحاة ذلك العصر ومعنى المقدمة هنا هو الذي كان القدماء يقصدون إليه بكلمة (الرسالة) التي كانوا يطلقونها على فواتح كتبهم ، فرسالة الجمهرة لابن دريد ، ورسالة أدب الكاتب لابن قتيبة إنما يقصد بها المقدمات .(**مازن 1995م ، ص117**) . المعروف أن هذه الرسائل التي هي بمثابة المقدمات كما ذكر الأستاذ مازن ، قد شرحت وخصصوا لها التفاسير والشروح (ولم يكن القدماء غافلين عما ذكر بل كانوا منتبهين لذلك ففصلوا كثيرا من هذه المقدمات عن كتبها وخصوها بعنايتهم ، فشرحوها وفسروها ، كما فعل أبو القاسم الزجاجي الذي خص رسالة أدب الكاتب بالدرس والشرح)(**مازن 1995م ، ص117**) . وشأن كتاب سيبويه شأنه من تلك الكتب التي يذكر الأستاذ مازن، فذكر مجموعة من الذين جعلوا الاولى حتى باب ضرورات الشعر رسالة فأردوها بالشرح والتفسير بعد أن فصلوها من الكتاب :(أما مقدمة كتاب سيبويه أو رسالته فقد عني بها الكثيرون وألفوا حولها ،وكان منهم علي سليمان الأخفش (المتوفى سنة315هـ) والذي وضع (تفسير رسالة سيبويه).وأبو القاسم عبد الرحمن إسحق الزجاجي (ت337هـ) الذي وضع (شرح رسالة سيبويه) وأحال على هذا الشرح في كتابه (الإيضاح في علل النحو) مرات كثيرة . بل لقد كان الزجاجي إذا نقل شيئا من الصفحات الأولى من (الكتاب) لم يقل : قال سيبويه في الكتاب ، بل قال: (قال سيبويه في آخر الرسالة) تمييزا لهذه الرسالة من الكتاب وهذا يؤيد قولنا بل تحديدنا للرسالة وانتهائها عند باب الفاعل) (**مازن 1995 م ، ص118**).

أما وصف منهجه عامة – في باقي أبواب الكتاب في مختلف أجزائه – فنجده يورد الأمثلة بعد إصدار الحكم المروية ويدعمها بالنصوص والشواهد سواء كانت شعرا أو نثرا من القرآن الكريم ومن غيره من كلام العرب ، وفي اثناء ذلك يصحح ويخطئ ويضعف ويقبح ، ويذكر من سمعها عنه ممن روى لهم ثم يبدي – أحيانا – رأيه ويدعمه أيضا بالشواهد : (فهو في جملة الأمر يقدم مادة النحو الأولى موفورة العناصر كاملة المشخصات ، لا يكاد يعوزها إلا استخلاص الضوابط ، وضبط الأصول على ما تقتضي الفلسفة المدروسة والمنطق الموضوع . وفرق ما بينه وبين الكتب التي جاءت بعد عصره كفرق بين كتاب في الفتوى وكتاب في القانون ، فذلك يجمع جزئيات يدرسها ويصنفها ويصدر أحكاما فيها ، والآخر يجمع كليات يصنفها ويشققها لتطبق على الجزئيات). (**ناصف 1953م ، ص156**). ولعل الأستاذ علي النجدي في المثال السابق يشير إلى جوهر منهج سيبويه وهو . إذا وفق الباحثان في فهم ذلك . المنهج الكلي الذي يبدأ من الكل و ينتهي بالجزء وهذا

ليس شأن سيبويه في الباب الواحد ، بل في كتابه كله إذ بدأ بأبواب النحو والتراكيب وانتهى بالأصوات ، وما بين هذين يعتبر بنى الكلمات المفرده والألفاظ .وهذه الطريقة الكلية التي جاءت بها النظريات الحديثه في علم اللسانيات وكأنه من اكتشاف المتأخرين (الجشطالت) *وهي الطريقه الكلية في التعليم أي البدء بالكل والانتهاء بالجزء ، وهي تعليمية ، إذ تصلح لتعليم النحو بصفة خاصة حيث تدرس الجملة ثم اللفظ المفرد فالصوت . وقد أطلقت الدكتورة عائشة بنت الشاطئ على ما انتهج اللغويون والنحويون ، المنهج العام : (قامت الدراسات اللغوية والأدبية على اصول المنهج العام في جمع النصوص وتوثيقها ، ثم فحصها واستقرائها وصولا إلى القواعد المطردة التي تثبت بالاستقراء ،...كذلك منهج سيبويه العلمي فيما استخلص من قواعد العربية في نحوها وصرفها واشتقاقها عن استقراء دقيق لما صح لديه من نصوص ذلك التراث) (**بنت الشاطئ ،1971م ، ص109– 115**) . إذن فمنهج سيبويه منهج استقرائي تقريري يعتمد على رواية النصوص ثم استقرائها فاستخلاص قواعدها المطردة. إذن النحوي لايصنع القواعد عندما يستخرجها باستقراء كلام العرب المروي من قبل الثقات (النحوي لايصنع قواعد اللغة لأنه لا يستطيع ذلك ولا ينبغي له وانما يجب عليه أن يحدد لكلٍ طموحه في تصنيف ماهو موجود منها فعلاً في استعمال الناس) (**كريستيل ، ص71**). ويرى الأستاذ علي النجدي أن الفكرة التي يدور حولها نهج سيبويه في تنويع مباحث النحو وترتيب أبوابه هي فكرة العامل : (هذا تأويل الفكرة التي كان سيبويه يرعاها ويصدر عنها في تنويع مباحث النحو وترتيب أبوابه كما تمثلت لي بالنظر والمراجعة في الكتاب ، مدارها العامل أولا وأخيرا ... وتبويبه يجزئ الموضوعات المتشعبة ويفرد كل جزء بباب ، فتكلم عن الاستثناء في تسعة عشر بابا ، وإن وأن في ثلاثة عشر ،والترخيم في اثني عشر بابا وهو تشقيق مبالغ فيه ...)(**ناصف ، 1953م ، ص178– 179**). وهنا يشرح المثل الذي ضربه بأنه – أي الكتاب والكتب التي كانت بعده – مثل كتاب في الفتوى وكتاب في القانون ، ذلك يجمع جزئيات يدرسها ويصنفها ويصدر أحكاما فيها ، والآخر يجمع كليات ويصنفها ويشققها لتطبق على الجزئيات . ويقصد علي النجدي بـ (الآخر) كتاب سيبويه ؛ لأنه في نظره يجمع كليات ويطبق فيها الأحكام بعد تجزئتها .(وسيبويه يجزئ الموضوعات المتشعبة ويفرد كل جزء بباب ، ومهما يكن الأمر فهذا النسق كما ترى مخالف لنسق الخالفين في كتب النحو فهم في مجمل الأمر ينظرون إلى أحوال الإعراب ، أي إلى أثر

*الجشطالت كلمة المانية تعني الشكل قانونها (أن "الكل أكبر من مجموع أجزائه) من مؤسسيها كهلر وماكس فريمتر .انظر الموسوعة الحرة ,

العوامل لا إلى العوامل نفسها ، ويقسمون الأسماء تبعا لذلك إلى مرفوعات ومنصوبات ومجرورات ، ويفردون كل مجموعة بباب)(**ناصف ، 1953م ، ص178– 179**). ولعل دكتور عبد الصبور شاهين يرى غير ذلك حين يرجع طريقة سيبويه في التجزئة إلى أنه اول من أنشأ كتابا في هذا الشأن : (ويبدو أن السبب الجوهري في التجزئة المسرفة ان سيبويه كان يعرف دوره كمنشئ لأول كتاب في نحو العربية فعمد إلى الأمثلة التي تشير إلى قاعدة معينة ، يعرض الأمثلة ليستخرج القاعدة ، بناء على الأكثر ، ثم يعمد إلى الأقل فيبينه ويبين خروجه على هذه القاعدة ، وهو مسلك البصريين من قبله ومن بعده إمامهم في ذلك أبو عمرو بن العلاء ، وهو أيضا طابع استقرائي وصفي يبدأ بالمادة لينتهي إلى القياس ، بعكس الاتجاه الذي ساد بعد ذلك إذ كان الباب يبدأ بالحكم أو بالمقياس ، ثم تأتي المادة مصدقة له وشاهدا عليه مع ما تيسر من العلل المتراكبة) **شاهين ، 1985م ،ص138– 139**. وهو منهج سيبويه التعليمي الذي يبدأ بالكل لينتهي إلى الجزء . وقد بدأ

سيبويه بعلاج النحو في تأليفه كتابه أولا بالتراكيب ؛ لأنها أكثر إلحاحا آنذاك ، ثم بالصرف وختمه بالأصوات ، وفي ثنايا تلك الأبواب تناول علم المعاني أو البلاغة ،: (وجدناه أيضا يقدم لنا مباحث في فن التعبير لا تدخل الآن في نطاق النحو بل من أبواب علم المعاني كما يدرسه البلاغيون). **شاهين ، 1985م ،ص141.** والاتجاه الكلي أي دراسة التراكيب قبل المفردات أو الأصوات متماش مع ما تنادي به بعض النظريات اللغوية التربوية الحديثة مثل أصحاب مدرسة الجشطالت . (لكن الذي نؤكده هنا هو أن سيبويه كان متبعا في الترتيب لا مبتدعا ، فلا شك أن أستاذه وسائر الائمة على عهده كانوا يعنون عناية فائقة بدرس النحو ويعتبرونه أساس الفصحى ، فنهج نهجهم وسار على هديهم) (**،شاهين ، 1985م ،ص141**). وسيبويه قبل تناوله الضرورات الشعرية ، تحدث عن علم المعاني ، واستقامة الكلام من حيث الحسن والقبح والسلامة وغيرها في الجزء الأول من كتابه (هذا كتاب اللفظ للمعاني : اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واختلاف اللفظين واتفاق المعنيين) **(سيبويه 1979م ص24)** . وهو ما يشير إلى الترادف اللفظي والتضاد وهو ما يعد من علم اللغة .

الخاتمة :

وبعد هذا التناول الذي حاول إبراز منهجية سيبويه فإن هذا البحث يسفر عن النتائج التالية :

1- يعد كتاب سيبويه أول كتاب في علوم العربية وصل إلى أيدي العلماء والباحثين ، كما أنه يعد أول مؤلف ضم مباحث النحو جميعها بين دفتيه .

2- ظل الكتاب معول علماء العربية عامة وعلماء النحو خاصة مذ ظهر للناس إلى يومنا هذا ، وظل النحاة بمذاهبهم المتعددة عالة عليه .

3- اعتمد سيبويه في مادته اللغوية على الثقاة من علماء العربية كالخليل وأبي زيد الأنصاري ويونس بن حبيب وغيرهم .

4- اتبع سيبويه في تأليفه الكتاب نظام الباب وكان المحور الأساسي الذي جرى وفقه بسط المسائل من خلال الأبواب وهو فكرة العامل خلافا للنحاة الخالفين الذين اعتمدوا فكرة المعمولات

5- كان يستقرئ القاعدة مما اطرد من كلام العرب وهو في ذلك متبع لأساتذته من أبي عمرو بن العلاء إلى الخليل وأبي زيد ، ومع ذلك يورد اللغات (اللهجات) ويشير إليها .

6- كان في تقعيده القاعدة يستشهد بالقرآن الكريم وكلام العرب وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وإن كان مقلا في الحديث ؛ لأسباب تعود لكثرة التدليس في بيئة العراق .

7- ابتدأ في عرضه المادة اللغوية بزمر الكلم وخصائصها ومجاري أواخر الكلم ، ثم صعد إلى التراكيب والجمل لينتهي بالأبنية الصرفية وخصائصها الصوتية .

8- يلاحظ أن مصطلحات النحو عند سيبويه غير مفهومة لكثير من الشداة ، والسبب في ذلك يعود لأولية كتاب سيبويه في التأليف ، ولأن مصطلحات النحو لم تنضج في زمانه .

التوصيات :

يوصي الباحثان في هذا المجال بما يلي :

1- تقريب كتاب سيبويه من الشداة والمبتدئين وغير المختصين ، بعرض مواده اللغوية وتقديم دروس من نصوصه ؛ ليكون ذلك معينا على فتق ألسنتهم بالفصاحة .

2- شرح مصطلحات كتاب سيبويه وربطها بما استقر من مصطلحات النحو .

قائمة المصادر والمراجع

1- إبراهيم مصطفى وآخرون ، 1998م ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة.

2- ابن الأنباري كمال الدين ، 1953م ، نزهة الأباء في طبقات الأدباء ، ط1 .

3- ابن النديم ، 377هـ ، الفهرست ، مكتبة خياط ، لبنان .

4- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، 1413هـ ، معجم الكليات ، ط3.

5- بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن ، 1971م ، مقدمة في النهج ، معهد البحوث والدراسات العربية

6- الزبيدي أبو بكر ، 1973م ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط2 ، دار المعارف – مصر .

7- سيبويه ، 1977م ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2.

8- السيرافي أبو سعيد ، 1985م ، أخبار النحويين البصريين ومراتبهم ، دار الاعتصام ، ط1 .

9- السيوطي جلال الدين ، 1998م ، الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1.

10-عبد الصبور شاهين ، 1986م ، دراسات لغوية : القياس في الفصحى والدخيل في العامية ، مؤسسة الرسالة ، ط2 .

11-علي النجدي ناصف ، 1953م ، سيبويه إمام النحاة ، مكتبة مصر – الفجالة .

12-مازن المبارك ، 1995م ، الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه ، دار الفكر – دمشق ، ط3.

13-محمود سليمان ياقوت ، 2000م ، أصول النحو العربي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .